بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١٦) النبيُّ العظيمُ يحدد المقوِّماتُ المَعنوية لإصلاحِ الفَرد والأُسْرة والمُجتمع [١]

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان
عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

حدَّدَ النبيُّ العظيم (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) مجموعةً من المقوِّمات المَعنوية والحسِّيّة التي من شأنِها –حالَ اتِّباعها– أن تُحققَ صلاحَ الفرد والمجتمع وإصلاحَهما، ونتحدَّث هنا عن عددٍ من هذه المقوِّمات المعنوية، ومنها:

- أنَّه (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) علَّمَنَا الأهميةَ الفائقة للتَّقوى وحُسنِ الخلق.

ولما سُئِلَ عن أكثرِ ما يُدخِلُ الناسَ الجنةَ؟ فقال: (تقوى اللهِ وحسنُ الخُلقِ). ولما سُئِل عن أكثرِ ما يُدخِلُ الناسَ النارَ؟ فقال: (الفمُ والفرجُ)[٢].

- ومِن هذه المقوِّمات دَيمومةُ ذِكر الله على الدَّوام، فبِذِكرك لله يَذكرُك الله، ويا لها من كرامةٍ كُبرى للإنسان أن يَذكرَه اللهُ جلَّ في عُلاه!، قال تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ...) (البقرة: ١٥٢).

- الدعاءُ، وأن نَتعلَّق بحبال الله تعالى، والإيمانُ الكامل بأنه لا يَقدرُ على جَلبِ النَّفع إلا الله، ولا يَقدرُ على الضرِّ إلا الله، ولا يَقدرُ على دَفع الضُّر إلا الله.

- أن نَحفظَ الله في كلِّ أمورنا؛ حتى يحفظَنا الله، فعن عبدِ الله بنِ عباس (رضي الله عنهما) أنه ركِبَ خلفَ رسولِ اللهِ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) يومًا، فقال له رسولُ اللهِ: (يا غلامُ إني مُعَلِّمُكَ كلماتٍ: احفظِ اللهَ يَحفظْكَ، احفظِ اللهَ تجدْهُ تُجاهَكَ، وإذا سألتَ فلتسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو

(١) راجع ذلك مفصلا: د/ أحمد علي سليمان: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟، القاهرة، دار إشراقة، ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م، ص ١٨١-١٨٦
(٢) أخرجه الإمام المنذري في الترغيب والترهيب.

اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبهُ اللهُ لك، ولو اجتمعوا على أن يَضروك، لم يَضروك إلا بشيءٍ قد كتبهُ اللهُ عليك، رُفعتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ)[٣].

- دَيمومةُ شُكر الله تعالى، قال تعالى: (...وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ...) (البقرة: ١٥٢)، فبالشُّكر تَدوم النِّعم. فعَلينا أنْ نشكرَ الله تعالى في السَّراءِ والضَّراء، وعند الرخاء، وأن نُظهِر آثارَ نِعم الله تعالى علينا، حتى يرى ربُّنا (جلَّ وعلا) أثرَ نعَمِه علينا.

فعنْ أبي هريرة (رضيَ اللهُ عَنْه) أنَّ رسول الله (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ) قال: (إنَّ اللهَ تعالى إذا أنعَم على عبدٍ نعمةً، يحبُّ أن يرى أثرَ النِّعمةِ عليه، ويكره البُؤسَ [وهو إظهارَ رَثاثةِ الحالِ للنَّاسِ] والتَّباؤسَ [وهو إظهارُ التَّمسكُنِ والشِّكايةِ والتَّفاقُرِ على غَيرِ الحقيقةِ]، ويُبغِضُ السائلَ المُلحِفَ [وهو المُلِحَّ المُلازِمَ لسُؤالِ الناسِ]، ويحبُّ الحييَّ [وهو كثيرَ الحياءِ] العفيفَ [وهو مَن يكُفُّ نفسَه عن الحَرامِ وسُؤالِ الناسِ] المتعفِّفَ [المُتكَلِّفَ العِفَّةَ])[٤].

- ترسيخُ المسؤولية في وجْدان المسلم: فقد علَّمَنَا النبي (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) أهميةَ المسؤولية، وبيَّن معالمَها وشمولَها وضرورتها البالغة في الحياة، فقال: (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ): (كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّتِه، فالإمامُ راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّتِه، والرَّجلُ راعٍ في أهلِه ومسؤولٌ عن أهلِه، والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها ومسؤولةٌ عن رعيَّتِها، والخادمُ راعٍ في مالِ سيِّدِه ومسؤولٌ عن رعيَّتِه، وكلُّكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيَّتِه)[٥].

- أهميةُ العلم وتَحصيله والبراعةُ فيه والإبداعُ فيه، والتعلُّم المستمر مدى الحياة، بحيث يكون المسلمُ متطورًا ومواكبًا للزمن وتَطوراتِه على الدَّوام. فالأممُ كما قال فضيلةُ الشيخ محمد الغزالي: "تتقدَّم أو تتأخر بمقدار أنصبتِها من العِلم، وقدرتِها على تَحويله إلى حضارةٍ مُثمرة.. وأنَّ العقل الصحيحَ هو الذي يقرأ آياتِ الله في الكون كما يقرؤها في المصحف"[٦].

- تَرسيخُ قيَم الإتقان والإبداع والإحسان في كلِّ شيء، ومع كلِّ الناس والمخلوقات، وفي كلِّ حال. وأن يكون المسلمُ مُحسنًا حتى وإن لم يلقَ إحسانًا من الناس.. أن يكون مُحسنًا ليس لأجلِهم، بل لأنَّ الله يحبُّ المحسنين.

- الصدقُ والبعدُ عن الكذب، فقد قال (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ): (عليكم بالصِّدقِ. فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البرِّ. وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّةِ. وما يزالُ الرَّجلُ يصدُقُ ويتحرَّى الصِّدقَ حتَّى يُكتبَ عند اللهِ

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

(٤) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير، وهو حديث حسن.

(٥) أخرجه الحافظ ابن حبان.

(٦) الشيخ محمد الغزالي: مائة سؤال عن الإسلام، ج ٣، ص ١٠.

صِدِّيقًا. وإيَّاكم والكذِبَ. فإنَّ الكذِبَ يهدي إلى الفجورِ. وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّارِ. وما يزالُ الرَّجلُ يكذِبُ ويتحرَّى الكذِبَ حتَّى يُكتبَ عند اللهِ كذَّابًا)[٧].

- ومِن المقوِّمات المعنويةِ لإصلاح الفرد والأسْرة والمجتمع حفظُ الأعراض، وعدمُ سُخرية الإنسان من أخيه، وعدمُ التَّنابز بالألقاب، واجتنابُ الظنِّ السَّيِّئ، والابتعادُ عنِ التَّجسس، والتلصُّص، والغيبة، والنميمة... وغيرها من الآفات الهدّامة للبناء الاجتماعي، والمؤجِّجة للصِّراع في جَنبات المجتمع.
- تحريمُ الغشِّ والتَّدليس والخداع، فالإسلام أيها القارئ الكريم لا يرضى أبدًا لمجتمعاتِه أن يَتغالَب فيها الناسُ بالمكر والخديعَة والفتن والنوايا الخبيثة؛ بل يريد مُجتمعًا تَسْري في أوصاله شَرايينُ الأخوَّة، ودماءُ الصدق، والنُّبل، والعفاف، وتحرّي الحلال، ومن قبْل ذلك كلِّه الإخلاص لله.
- جهادُ النفس على الدَّوام من الأمور الصَّعبةِ والشّاقة على الإنسان، وقد جاءَ رجلٌ للنبيِّ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) وقال له: أوْصِني، قالَ: (لا تَغْضَبْ) فَرَدَّدَ مِرارًا، قالَ: (لا تَغْضَبْ)[٨].

- حبُّ الخير للناس، قال النبي (عليه الصلاة والسلام): (لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[٩].
- ضبطُ اللِّسان، وقولُ الحقِّ والصدق، وانتقاءُ الكلمات الطيِّبة المريحة للقلب والنَّفس والعقل والوجْدان عند الحديث مع الآخرين، فقال (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ): (مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيَقُلْ خيرًا أو لِيصمُتْ)[١٠].

فإذا أردْنا النجاةَ والعَيش في هَناءةٍ وسَعادة واستقرار واطمئنان؛ فعلينا أن نحفظَ ألسنتنا، ولا نلوّثها أبدًا بالكلماتِ النابية، أو الخارجة، أو بالساقط مِن الكلام، أو التَّجرّؤ على خلقِ الله، وهنا نَستدعي ما قاله الصحابيُّ الجليل أنسُ بنُ مالك (رضي الله عنه) عن خِدمته لرسول اللهِ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) عشر سنين، فما قال له أُفٍّ قطُّ، وما قال له لشيءٍ صنعه: لِمَ صنعتَه، ولا لشيءٍ تركه: لِمَ تركتَه.

تخيَّل أخي الكريم عشْر سنين لم يصدرُ فيها –ولا في غيرها– كلمة أفّ –ولا غيرها–؛ وهي أقلُّ كلماتِ الضَّجر، ولا غَرْو في ذلك فهو الصادقُ المعصوم.

- البعدُ عنِ الجدال والكذب: يقول (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ): (أنَا زَعِيمُ بَيتٍ في رَبَضِ الجنةِ، لِمَنْ تَرَكَ المِراءَ وإنْ كان مُحِقًّا، وبَيتٍ في وسَطِ الجنةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإنْ كان مازِحًا، وبَيتٌ في أعلى الجنةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ)[١١].

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.
(٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(٩) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(١٠) أخرجه ابن حبان.

- عدمُ التَّدخُل فيما لا يعْنينا، يقول النبي (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ): (مِن حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُهُ ما لا يعنيهِ)[١٢]. وقديمًا قالوا: مَن تدخَّل فيما لا يعْنيه لقيَ ما لا يُرضيه. فهَنيئًا لمن ضبطَ فُضوله وانشغلَ بحالِه وإصلاح نفسه وعياله.
- حُسْن التَّودُّد، والْمُزاورة، وَالْمُواصَلة، وَالْمُكارَمَة، وإنزال الناس منازلهم، وأيضًا احترامُ الكبار، والشيوخ والمسنّين، وشتَّى القوى المكوِّنة للمجتمع، وإكرامهم، ولنا أن نتأملَ في قول النبي (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ): (مَن دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهو آمِنٌ...)[١٣]. لقد تجلَّتْ حكمةُ النبي العظيم (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ)، ورحمته، ورقَّتُه، وحنوُّه، وتفرُّدُه في فَهم نفوس البَشرية، وفي كيفية علاجِها، ومعاملتها بما يصلحها، ويَسْتنفر فيها قوى الخير الكامنَة في أعماقها. ولقد كانتِ السماحة، والرِّفق، والعَفو، والصَّفحُ النَّبوي بدلًا من الإذلال والانتقام؛ كانت مَضربَ المثل في التَّسامح الفريد الذي نحتاج إليه في هذه الحياة.

وكان هذا الموقفُ النَّبوي الكريم تَثبيتًا له على الإسلام وتقويةً لإيمانه، وتَطمينًا له بأنَّ المكانة التي كانت له عندَ قريش لن تتأثر. وهذا منهجٌ نَبوي كريم، يجب على السادةِ الدُّعاة والمربّين وعمومِ الناس، أن يستوعبوه جيدًا، ويَعملوا به في تعاملهم مع الناس[١٤].

وتظلُّ العبارةُ التي أطلقَها أبو سفيان "بأبي أنت وأُمّي ما أحلمَك وأكرمَك وأوصلَكَ!" شاهدَ عيانٍ على رحمة النَّبي العظيم وحلمِه وكرمِه وصِلتِه، حتى في أصعب الظروف.

- تَرسيخُ قيمة الرِّفق، واللِّين والبُعد عنِ الخشونة والغِلظة والتَّيسير على النَّاسِ والمخلوقات، فالرفقُ مِن جَواهرِ الأَخلاقِ الإسلاميَّةِ، واللهُ (سبحانه وتعالى) رفيقٌ يُحبُّ مِن عبادِه الرِّفقَ، فقال عليه الصلاةُ والسَّلام: (إنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شيءٍ إلَّا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ مِن شيءٍ إلَّا شانَهُ)[١٥] فالرفقُ يُزيّن الأشياءَ ويجعلَها حَسَنة جَميلة، وعندما يُنزَع من الأشياء يَعيبُها ويَجعلها قَبيحة. والرفقُ عندما يَسودُ في حياة الفرد والأسْرة والمجتمع يُسهِم في سيادةِ الرحمة والتَّراحم في الحياة.
- البعدُ عنِ التَّعقيد والجمود والتشدُّد والتزمُّت والإفراط أو التفريط؛ والتزامُ التَّيسير والتوازن والوضوح، فديننُا واضحٌ لا غموضَ فيه، ولا لبسَ فيه، ولا تَناقضَ فيه، وتَعاليمُه سَهلة ميسَّرة، تناسبُ الإنسان في كلِّ زمان ومكان، قال تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...) (الحج: ٧٨). وعن أنس بن مالكٍ (رضيَ اللهُ عَنْه) قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ)، يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ

---

(١١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه.

(١٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

(١٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(١٤) من دخل دار أبي سفيان فهو آمن

(١٥) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

النَّبِيّ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ)، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقالوا: وأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيّ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ)؟! قدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، قالَ أحَدُهُمْ: أمَّا أنَا فإنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أبَدًا، وقالَ آخَرُ: أنَا أصُومُ الدَّهْرَ ولَا أُفْطِرُ، وقالَ آخَرُ: أنَا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أتَزَوَّجُ أبَدًا، فَجَاءَ رَسولُ اللَّهِ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) إليهم، فَقالَ: (أنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وكَذَا؟! أَمَا واللَّهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له، لَكِنِّي أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وأَرْقُدُ، وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتِي فليسَ مِنِّي)[١٦]، وهكذا وضعَ النبيُّ الكريم النقاطَ على الحروف، ليرسِّخَ مَنهجيةَ التَّيسير ورَفع الحرَج والمشقَّة، ويقضي على التشدُّد والتزمُّت، والإفراط والتفريط.

- أن يكون المسلمُ هاشًّا باشًّا بسَّامًا بشوش الوجْه قدوةً حَسنة، مهندَمًا، نظيفًا، جميلًا على الدَّوام.
- الإحسانُ إلى الطفل الصغير، فهو هديةُ الله، وهو أمانة، وأنه عَجينةٌ غالية جدًّا، ومن ثَمَّ يجب أن نُشكِّلها على أفضل ما يكون.
- ومِن المقوِّمات المعنويَّة لإصلاح الفرد والأسرة والمجتمع، البعدُ عنِ الغِيبة والنَّميمة، فهُمَا من الكبائر، ومن أسباب الإفلاسِ يوم القيامة، وقد حذَّر النبيُّ (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) من ذلك، ذلك أن الْمُفْلِس مِنْ أُمَّتِه يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ...، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُقْتَصُّ لِهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَلِهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّار.
- إشاعةُ الحبِّ في جَنبات المجتمع؛ ذلك أنَّ الحبَّ يجب أن يكون في الله.. ولله، وأن يسودَ في كلِّ مكان، وقد جعلَ اللهُ الحبَّ ركنًا في الإيمان، ودليلًا على صدقه.
- ومن هذه المقوِّمات: أنه يجبُ على عموم المسلمين أن يُجيدوا مهاراتِ المحاسبة، ولا أعني هنا المحاسبةَ التِّجارية فلَها أهلُها، ولكن أعني هنا أن يحاسبَ الإنسانُ نفسَه على الدوام، فالدنيا ستَفنى، وكلنا سنَموت، والأعمالُ بخَواتيمها، وأنه يجب أن نحاسبَ أنفسَنا أولًا بأوَّل قبل أن نُحاسب في الآخرة. واعْلموا أيها السيداتُ والسادة أنَّ الدنيا ساعة، ومن ثَمَّ يجب أن نَجعلها طاعةً خالصةً لله؛ حتى نفوز برضاه.

فاللهمَّ وفِّقنا للصَّلاح والإصلاح. اللهمَّ أصلحْنا، وأصلحْ بنا، وأصلحْ لنا، وأصلحْ مَن حولنا، وأصلحْ سائرَ أعمالنا، ووَضِّئنا بأخلاق نبيِّك العظيم يا ربَّ العالمين.

***

(١٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا الصِّيَامَ وَالقِيَامَ وَصَالِحَ الأَعْمَالِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ... اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَهْلِيكُمْ وَأَنْجَالِكُمْ وَأَحْفَادِكُمْ وَذَرَارِيكُمْ أَجْمَعِينَ الفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالحُبُورَ، وَالسَّعَادَةَ العَامَّةَ التَّامَّةَ الكَامِلَةَ الشَّامِلَةَ الدَّائِمَةَ المُسْتَقِرَّةَ المُسْتَمِرَّةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ... نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ لَنَا وَلِأَوْلَادِنَا، وَلِمُجْتَمَعِنَا وَلِشَعْبِنَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ مِصْرَ شَرْقَهَا وَغَرْبَهَا، شِمَالَهَا وَجَنوبَهَا، طُولَهَا وَعَرْضَهَا وَعُمْقَهَا، بِحارَهَا وَسَمَاءَهَا وَنِيلَهَا، وَوَفِّقْ يا رَبَّنا قِيادَتَهَا وَجَيْشَهَا وَأَمْنَهَا وَأَزْهَرَهَا الشَّرِيفَ، وَعُلَمَاءَهَا، وَاحْفَظْ شَعْبَهَا، وَبِلادَ المُحِبِّينَ يا رَبَّ العالَمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ على سَيِّدِنا وَمَوْلانا مُحَمَّدٍ، وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

خادم الجناب النبوي

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها: (الدكتور أحمد علي سليمان)؛ يضمن لك كل جديد https: //www.facebook.com/drahmedalisoliman/